الـــدّافِـــع

قصة بقلم كونراد إيكن

ترجمة نمر محمد سرحان

ودندن ميشيل وهو يحلق ، وقد ابهجه منظر وجهه تغمره فقاعات الصابون وقد برز حاجباه كقوسين متوترين .. وكان يحس ان اليوم لن يكون سيئا كسابقه .. وهو اليوم الذي يأتي مرة في الاسبوعين ويستطيع فيه ان يستمر في الخارج طوال ما بعد الظهر والمساء ... ويلعب الورق مع هروتز وبريانت وسمث .. هل يخبر دورا على الافطار؟ من الافضل الا يخبرها خاصة وانه لا يريد ان يثير موضوع « الفواتير » غير المدفوعة .. الايجار .. الفحم ... ديون الطبيب الذي يزور الاطفال . اللعنة . يا لها من حياة . ربما قد حان الوقت ليقفز قفزة.. وعاد يدندن وهو يفكر بلعبة الورق .. ليس لانه احب هروتز او بريانت او سمث ـ اصدقاء رخيصون .. ولكن ما العمل في ايجاد اصدقاء وهو يتنقل من هنا الى هناك يبحث عن لقمة العيش والحظ دائما ضده! كان يهرب في رفقتهما من جوه الكئيب .. هروتز يزودهم بالكحول .. وغداء في المطعم اليوناني .. ثم يعودون الى غرفة سمث ..وسيتلفن من هناك لدورا كان الامر صدفة واعدا بالعودة .

ومضى كل شيء كما تصور .. كانت دورا واجمة على الافطار وكانت هناك « الفواتير » دون ان يقول احد شيئا ما عنها .. وبينما كانت دورا ترسل الاطفال للمدرسة انزلق خارجا .. واخذ يدندن وهو ينتظر القطار .. لتنتظر « الفواتير » .. ان الانسان لا يستطيع ان ينهي كل شيء حالا عندما يناصبه سوء الحظ .. وما الضرر في ان ينفلت الانسان لليلة كل مدة طويلة ؟ وفي الرابعة والنصف اتصل بها معلنا انه لن يعود الا في وقت متأخر . وذهب ليقابل الاخرين في المطعم اليوناني .. وشربوا شيئا يبعث الدفء .. ثم ساروا الى بيت سمث.. كان بيتا دافئا يقع في بطن عمارة ضخمة .. ونفجهم بشيء من الجن وسجاير بورتوريكية وغاصوا في لعبة ورق بعيدة المدى ... ثم قاموا ليمددوا ارجلهم ويجددوا شراب اكؤسهم .. ولا يذكر ميشيل من كان البادىء في الثرثرة عن « الدافع » .. هل كانت لديك دوافع معينة لعمل اشياء معينة ؟ طبعا كان لديك ! قد تقابل رجلا وتحس بالرغبة لان تبصق في عينه . ترى فتاة وتشتهي ان تقبلها او تضغط ذراعها وهي تقف الى جوارك عند موقف الباص . قد افهم ما تعني . انت تفهم . ربما . الاغراء بعمل شيء معين .. تبدأ الامور هكذا .. الناس الذين يمزقون معاطف الفراء للاخرين بسكين حادة . مجرد دافع في البدء . اوه .. وبعد .. تصبح عادة ! بالتأكيد . مثلا اولئك الاشخاص الذين يقصون ضفائر الفتيات بمقص .. انهم يرغبون مجرد العمل .. ثم يتحولون الى السرقة .

ـ الى السرقة ؟

قال بريانت . رد ميشيل :

ـ انا مثلا ارى شيئا لطيفا على « الكاونتر » كما تعرف .. سكين صغير .. ربطة عنق ممتازة .. صندوق حلوى .. اضعه في جيبي .. وانطلق للكاونتر الثاني ، او لاشرب . ماذا في ذلك غير انساني ؟ كلنا نريد الاشياء . لماذا لا نأخذها ؟ والحضارة مجرد قشرة تغطي اعماقا خيالية .

ـ هذا صحيح .. الحضارة قشرة .

هكذا قال بريانت ورد سمث :

ـ واذا امسك بك « الاله » متلبسا ؟

رد ميشيل :

ـ من يفكر بهذا ؟ كثيرا ما افكر انني في طريقي للجحيم وعندها افضل ان اقبل فتاة حلوة لتكون اخر شيء اعمله . بالطبع كل انسان لديه هذه المشاعر ..

وابتسم ثم استمر :

ـ انا شخصيا لدي هذه المشاعر .. لكن لنفرض اننا خضعنا لها.

ـ اننا لا نخضع !

ـ لنفرض !

ـ اوه .. سيكون مصيرا تعسا .

ـ يا يسوع ؟

ـ أوي ..

واستؤنفت اللعبة .. ملئت الاكؤس ، واشعلت السجاير .. وكان على ميشيل ان يفكر باخر سيارة يمكن ان يستقلها للبيت ، لكنه لم يستطع ان يتوقف عن التفكير في تلك الدوافع . كانت مسلية . جديدة. كل انسان يود الاشياء اللطيفة . فرشاة اسنان زرقاء ، كتاب لامع ، شفتان قرمزيتان على المقعد المجاور في القطار .. انها من الذ مبهجات الحياة .. ولم تعد اللعبة مسلية . واقترح بريانت ان يخرجوا . وبعد لحظات كانوا في الشارع حيث تنصب الاضواء على الثلج الذي يكسو كل مكان . وكانت الكنيسة تقرع اجراسها .. وكان هناك وقت كاف لزيارة « مستودع الادوية » وتناول كأس شوكولاته ساخنة . وترنحوا في الشارع ثم عبروا الباب العريض للمستودع . واحس ان هدفه من زيارة المستودع لم يكن شرب كأس الشوكولاته الساخن ، كان يريد ان « يسرق » شيئا . كان يريد ان يضع « الدافع » تحت الاختبار ويرى فيما اذا كان سينهي الامر بمهارة او ان السرقة ستمنحه « رضى » غامرا . كان المستودع يموج بالناس الذين جاؤوا للتو من المسرح المجاور ، وقد اخذوا يتدافعون حول كاونتر الصودا وصندوق الصيف . وفي مؤخرة المخزن وقرب التواليت لم يكن هناك اليكترون .. لكن الفرصة كانت مواتية ... كل الكتبة مشغولون. وكانت يداه في الجيوب الجانبية لمعطفه .. كانت تفي بالغرض .. حركة سريعة فوق طاولة او كاونتر وينزلق « الشيء » الى جيبه .

لم يبد عليه اي اضطراب ، ربما بسبب مشروب الجن .. على العكس كان مرحا .. وكان يبتسم وهو يسير على الطرف الايمن متجها الى المؤخرة يشق طريقه بين الجمهور وكانت عيناه تفحص الاشياء المنسقة على الكاونتر وفي الخزائن الانيقة الملتصقة بالجدران .. مرشات العطر .. فراشي الثياب .. زجاجات الماء الساخن الخضراء .. مصفاة .. اوه ، اكبر من ان يستطيع حملها .. حاملة فراشي اسنان ملونة.. زجاجات كولونيا .. اقلام حبر .. وبعد ذلك ـ وقد شعر برغبة جارفة نحوها ـ موسى حلاقة ، دي لوكس ، هذه هي الفريسة دون جدال .. طاقم كامل .. الموسى مطلية بالذهب وموضوعة في علبة بلاستيكية مفروشة بقماش ارقط تبرز فيه خطوط حمراء زاهية . وحملق فيها طويلا .. قد يلاحظ احد الكتبة !! ولاحظ موضع الصندوق بوجه الدقة .. وقدر الحركة التي ستنقله الى جيبه .. اصبع امامي في

مؤخرة الصندوق والابهام من الخلف ، وتوترت عضلات ذراعه وهو يفكر على هذا النحو .. واستمر في خطواته البطيئة .. واستدار نحو الكاونتر .. مر بولاعات السجائر .. وعلب الورق .. وبحركة سريعة اتجه نحو فريسته .. كل شيء كان مواتيا .. كان القسم خاليا تلك اللحظة .. واقترب من الكاونتر واستند فوقها كما لو كان يتفحص شيئا ما .. وكانت يده فوق لوحة العرض .. ولم يكن اسهل من ان يمد اصبعه الامامي .. يغلق الصندوق .. ويطبق على الطرف الاخر بالابهام .. وينزلق به الى جيبه . وانتهى كل شيء في لحظة . وللحظة اخذ يدير لوحة العرض على عمودها كما لو كان يود ان يراها تشع في النور .. ولمعت لمعانا لطيفا .. ثم تركها متجها الى كاونتر الصودا حيث يقف هروتز وبريانت .

كان في حركة الاندفاع للامام وعلى وشك السؤال عن كأس الشوكولاته الساخن الذي له عندما احس بيد حازمة تشد على كوعه.. واستدار ليرى رجلا يرتدي قبعة متهدلة و « معطف مطر » قذرا .. وكان الرجل يبتسم بطريقة استفزازية :

ـ اظن انك وجدته لطيفا .

قالها الرجل بصوت مفعم باللطف والكرم ثم استطرد :

ـ تفضل معي يا سيد !

ورد ميشيل الابتسامة ، لكنه كان خائفا وبدا قلبه يدق :

ـ لا ادري عم تتكلم ايها الرجل !

ـ لا .. طبعا لا تدري !!

وكان الرجل يسير نحو مؤخرة المخزن يقتاد ميشيل بيد تشد على كوعه .. وبدا ميشيل يتهيج غضبا لكنه كان خائفا ايضا . وفكر في ان يجذب ذراعه بعنف لكنه خشي ان يثير الانتباه . وتبع الرجل الذي يقتاده وراء الكاونتر الى غرفة داخلية يجلس فيها كاتب :

ـ هل تتفضل بشرح الامر ؟

ورد الرجل ذو « معطف المطر » القذر وهو يهز كتف الكاتب : استدع المدير الى هنا !

وعاد يبتسم لميشيل بعينين ضيقتين .. وكان ميشيل يتميز غيظا .. لكنه ابتسم ابتسامة مقابلة .. وكان المدير قد دخل الغرفة ومعه الكاتب .. وفجأة جذب التحري يد ميشيل من جيبه ومد يده هو ليخرج صندوق موسى الحلاقة ويضعه امام المدير .. ونظر المدير والكاتب الى ميشيل بنظرة مفعمة بالازدراء .. وقال المدير :

ـ هل انت متأكد ان هذا لنا ؟

ـ رايته يتناوله !

ونظر التحري الى ميشيل بابتسامة مستفزة :

ـ اتود ان تقول شيئا ؟

ـ كانت مجرد نكتة !

وتورد وجه ميشيل بالدم الذي اندفع اليه .. واستطرد :

ـ تراهنت مع بعض الاصدقاء على ذلك .. استطيع ان اثبت ذلك .. هل ادعوهم اليك الان ؟

ـ انت متأكد ؟ تستطيع ان تثبت ذلك في المحكمة .. والان تعال معي يا سيد !

وذهل ميشيل لتغير الامور .. وكان يفكر .. وخرج مع التحري. كانت قد توقفت هجما تالثلج على الارض .. وسار الاثنان على طبقة من الثلج كانه المسحوق .. وكان التحري يشد على يد ميشيل بحزم.. ولم يكن ميشيل ليستطيع ان يفكر في حل ما . وكان الناس الطيبون يمرون به وليس من يعرف انه لص في طريقه الى السجن . وبدا يتحدث الى التحري كيف انه وهروتز وسمث بدأوا يناقشون الدوافع اثناء لعبة ورق .. وضحكوا .. وتبرع هو بتجربة الامر . ولم ينتبه التحري او يخفف من خطوه السريع .. واحس ميشيل ان الرجل لم يكن منتبها لكل ما يقول .. وجرب ان يخاطبه خطابا عاطفيا :

ـ ان زوجتي تنتظرني .. يا سيدي !

ـ والاطفال ايضا ؟

ـ والاطفال !

ـ اوه .. حسنا .. ها قد وصلنا المركز .

وخاطب التحري الضابط الجالس وراء مكتبه دون مقدمات :

ـ ها هو ميشيل .. حاولها ثانية !

واحس ميشيل ان الامور تتعقد وتسوء . . ولم يبد على الضابط انه يصدق القصة التي اخذ التحري يسردها .. لكنه طلب مقابلة هروتز وسمث ليستجوبهم . وجلس ميشيل على مقعد خشبي..ومرت ربع ساعة وكانت ساعة الحائط تصدر اصواتها الرتيبة .. وارسل شرطي ليبحث فيما اذا كان لميشيل « صحيفة سوابق » لكن الشرطي عاد يقول انه لم يجد شيئا .. وعاد السرجنت بصحبة هروتز وبريانت .. وقد انكرا انه كان اي رهان . وقالا انهما لا يعرفان ميشيل جيدا.. واضاف هروتز قائلا ان ميشيل عادة ما يكون خشنا مع الاخرين . وهنا قفز ميشيل واقفا وقد بدا ان الدم سينبثق من وجهه :

ـ كذابان ملعونان .

ـ خذوه !

وعندما جاءت دورا لتقابله في الصباح التالي .. كانت كلماتها توحي بالبرود والتردد .. لم تكن كما توقع ، شفوقة ومعينة . ولم تتطوع لاستئجار محام او تعمل شيئا ما وعندما كانت تستمع لقصته بدت وكانها تستمع لاكذوبة مستخيلة .. كان صوتها اجوف خال من اي اخلاص . وعندها احس انه مذنب .. وجفت حنجرته ، وفقد ضبطه لنفسه وكلماته وعندما توقف عن الكلام كانت دورا صامتة ...

ـ قولي شيئا .. لا تحملقي في كما لو كنت مجرما !!

ـ سابحث عن محام .. لكن هذا كل ما استطيع ان افعله .

مؤلفات سيمون دو بوفوار

ق٠ل

المثقفون ـ رواية جزآن
ترجمة جورج طرابيشي ١٤٠٠

انا وسارتر والحياة
ترجمة عايدة مطرجي ادريس ٤٠٠

مغامرة الانسان
ترجمة جورج طرابيشي ١٥٠

الوجودية وحكمة الشعوب
ترجمة جورج طرابيشي ١٧٥

نحو اخلاق وجودية
ترجمة جورج طرابيشي ٢٢٥

بريجيت باردو وآفة لوليتا ١٥٠

قوة الاشياء ـ جزآن
ترجمة عايدة مطرجي ادريس ١١٠٠

منشورات دار الاداب

ـ دورا .. الا تعنين انك ـ

وعندما كان ينظر اليها وقد تجمدت الكلمات على لسانه اخذ يفكر منذ متى عرف تلك المرأة .. كانت مستاءة منذ امد طويل .. وقد نغص عليها حياتها عدم نجاحه .. وقد تجمع لديها استياء عارم ، فقد استاءت من عدم تمكنه جمع مبلغ لتربية الاطفال .. واستاءت من قضية الفواتير المستحقة .. وذلك التجوال من مدينة لاخرى وتلك الصحبة المبتذلة.. صحبة هروتز وبريانت وسمث ..

ـ من الافضل الا نفكر في ذلك .

ـ الا تصدقينني ؟

ـ سابحث عن محام .. رغم انني لا اعرف من اين سادفع اجوره .. انني لن امس توفيري فقد احتاج اليه انا والاطفال .

وحملق في تلك المرأة .. لقد ظن انه يعرفها .. ظاهرها وباطنها .. كل انحناءة في خطها .. طريقتها المزعجة في الغناء .. صفير قدميها .. صوتها الخاص على الهاتف .. كرهها للملابس الحريرية الداخلية .. عرف تلك الاشياء التي لم يعرفها احد .. وها هي تقف الان امامه كجدار سميك لا يشف عما وراءه .

ـ طبعا .. يجب ان تبقي على توفيرك .. وستبحثين عن هروتز والاخرين .. سيظهرون .. بالطبع ..

ـ سأتصل بهم ..

واستدارت مبتعدة .. وغرق ميشيل في العرق .. واخذ يغدو ويروح .. يفرك يديه ويشد الساعة على معصمه يفكر في الوقت .. خمسة دقائق مرت .. وخمسة اخرى.. واذا استمر الامر كذلك فسيفقد وظيفته .. لهذا لم يرد هروتز وبريانت ان يقولا الحقيقة حتى لا يفقدا وظيفتهما .

وعندما جاءه المحامي قال له ان اصحابه رفضوا ان يتدخلوافي الامر . كانوا خائفين من وسائل النشر .. وسيكون كل شيء في غير صالحه اذا استمروا يرفضون تقديم اية مساعدة ..

واعتمد القاضي على موقف اولئك الاصحاب وعلى برودة شهادة الزوجة .. واعلانها عن ميشيل كرجل غير مركز ولا يفكر كثيرا لمصلحة البيت والاطفال .. وحكم على ميشيل بالسجن ثلاثة اشهر .. وعندها كان ميشيل في ذهول عميق داخل قفص الاتهام يحملق في دورا التي جلست في الصف الثاني كامرأة اجنبية .. وانتظر ان تقترب منه .. وانتظر .. ثم اقتاده الشرطي الى الخارج ..

وعندما كتبت له بعد اسبوع قالت له :

ـ « ميشيل .. انني آسفة .. لا استطيع ان اربي الاطفال مع اب مجرم .. انني استعد لاجراءات الطلاق .. وداعا »

ورفع ميشيل الورقة بيديه .. ونزلت الدموع من عينيه واخذ يفرك جبهته جيئة وذهابا بالورقة التي كورها باصابعه .. اوه .. كانت نكتة وحشية .. بدافع شيطاني .. لم تستطع ان تثق بصديق او بزوجة .. اللعنة على حياة لا ثقة فيها .. وهل يعترض على الزواج .. لا .. فلن تصدق المحكمة سارق .. واسقط الورقة من يده وداس عليها .. فليذهبوا الى الجحيم .. سيريهم .. وجلس على حافة السرير يتذكر بمرارة .. الرحلة الى نياجارا .. واصوات الشلالات الهادرة .. يوم كسرت رجله في البيسبول .. قاعة الامتحان في الكلية .. مجموعة الطوابع التي فقدها في الكلية .. وامه التي كانت تطلب منه ان يتعلم ليكون منظما . كانت حياته باكملها مؤلفة من فصول تافهة.. وبعد ان استعرض كل ذلك اكد لنفسه انه كان دائما رجلا طيبا.

والقى بنفسه على السرير .. واخذ يحدق بالسقف الابيض .. واحس ساعتها بدافع قوي ... وجديد .

ترجمة : نمر محمد سرحان

صدر حديثا :

الإسلام تجاه تحدّيات الحياة العصرية

بقلم الدكتور حسن صعب

كتاب هام يضم عدة ابحاث قيمة تنبع من معين واحد ، هو معين الايمان بالاسلام ، والاعتقاد بقدرته على ان يواجه تحديات الحياة العصرية بالروح الخلاقة نفسها التي جابه بها مختلف التحديات منذ نشأته

٣٠٠ ق.ل

منشورات دار الاداب